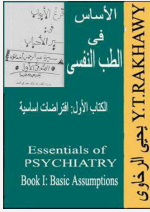


1195 - مزيد من التطوير والنقد: "حركية الجنون الاجنون"



الفصل الأول:

ماهية الصحة النفسية (11)

يضطرد التقدم في هذه المحاولة الجديدة وهي كتابة "مرجع" على حلقات تكمل بعضها بعضاً، بل تراجع بعضها بعضاً، حتى تكاد تناقض بعضها بعضاً، فيفتح المنهج، لكن قد يزداد غموض المحتوى.

في النشرة قبل السابقة أضفنا مصطلحين للتمييز بين "الجنون" و"حالة الجنون" من ناحية، وبين "فرط العادية" و"حالة العادية" من ناحية أخرى، وقد ارتاح أغلب المحاورين إلى هذه المحاولة.

في نشرة أمس، قمنا بالرجوع إلى بداية باكرة للاستشهاد بالخبرة المباشرة النابعة من ثقافتنا الخاصة جداً، بلغتنا الخاصة تماماً، وقد تبين لي أن الإشكال لم يُحل، لتظل كلمة الجنون لها وقع ورنين وصدى تذهب بنا إلى توجهات متنوعة بعضها يناقض بعضاً، وقد تصورت أن مجرد إضافة كلمة "حالة" إلى لفظ "الجنون" ينفي الجنون الصريح كحل سلي لوجود فاشل، ولكن يبدو أن ذلك ليس كافياً.

وها نحن نكمل إسهام المرجوم محمد جاد الرب في حوارها في المجلة الأم "الإنسان والتطور" وقد تبينت بوضوح أننا كنا نتحرك معاً في هذه المنطقة التي اسميناها "حالة الجنون" دون الجنون بالذات، كما تبينت أنها ليست مجرد حالة، وإنما هي "حركية"، وأنها ليست مجرد حركية ولكنها حركية مكثفة ضامنة منفرجة واعدة منذره إلا أنها ضد الجنون تحديداً، لكنها ليست إبداعاً بعد، فقدرت أن الأولى أن تسمى "اللاجنون الحركي" كما ظهر في عنوان نشرة أمس، وقد أوصل لي هذا النفي بـ "لا" نوعاً من الطمأنينة تقول: إن الدفاع عن حق الإنسان في هذا التحريك المنتظم طوال حياته وخاصة أثناء نموه هو ضد الجنون، تماماً قياساً على أن حركية النوم الخالم (نوم الريم REM حركة العين السريعة Rapid Eye Movement) هو وقاية من الجنون، بدليل أن تجارب الحرمان منه ينتج عنها أعراض جنون صريحة بما في ذلك الخلط والهوس والتفكك.

وبرغم هذا الوضوح لتوظيف نفى الجنون باضافة "لا" إلا أنني شعرت بأن المسألة هكذا قد تذهب بنا إلى أقصى الناحية الأخرى، أي إلى احتمال قبول هذه الحركية على أنها لا تحمل أصلاً مخاطر الجنون، وهذا غير حقيقى وغير مطلوب.

ونظراً لأننى أنتمى أساساً إلى الحركة إلى الجدول (كما أتصور) ونظراً للطبيعة هذا العمل انطلاقاً من الواقع المعيش ومن نبض اللغة، وليس من اللفظ الجامد الجامع المانع رأيت أن أقوم بهذه المغامرة، ومن يحتمل يواصل معنا:

أولاً: ما اسميناها "حالة الجنون" دون الجنون هي ليست "حالة" لها زمن مرصود خاص بها (مثل العادية أو فرط العادية أو حتى الجنون) بقدر ما هي حركية دورية خفية غالباً.

ثانياً: أنها ليست جنونا سلبيا كما بينا.

ثالثاً: أنها ليست نفياً للجنون "لا جنون" وإلا وجدنا أنفسنا في حالة "العادية" أو حتى "فرط العادية".

إذن ماذا هي :

هي "حركية الجنون/اللاجنون الحتمية الواعدة المنذرة معاً" يا خير!!

وهل يوجد لفظ أو مصطلح يمكن أن يحوى هذه الخطبة الطويلة؟

دعونا نتحمل التناقض ما دمنا مصريين على مناقشة جدل النمو بالألفاظ ونسميها (ولو مؤقتاً) "حركية الجنون اللاجنون".

وبعد

دعوى أعترف بأننى وددت لو أعترت عن هذا الذى يبدو تذبذباً حتى الغموض المزعج، وفي نفس الوقت أصر على التمسك بالأمل بأن ما أريده يصل إلى أصحابه برغم كل ذلك.

هذا هو المنهج الذى أرتضيه، والذى تشاركون فيه والذى سوف أواصله استلهاماً من ثقافتنا وخبراتنا ولغتنا في الصحة والمرض

ثم هيا نلتقط أنفاسنا ونحن نواصل متابعة بعض الحوار في هذه المنطقة بالذات مع المرحوم الصديق "محمد جاد الرب" في مجلة الإنسان والتطور، من ثلاثين عدد إبريل 1980 (العدد رقم 2).

التكثيف.... والصور المفككة

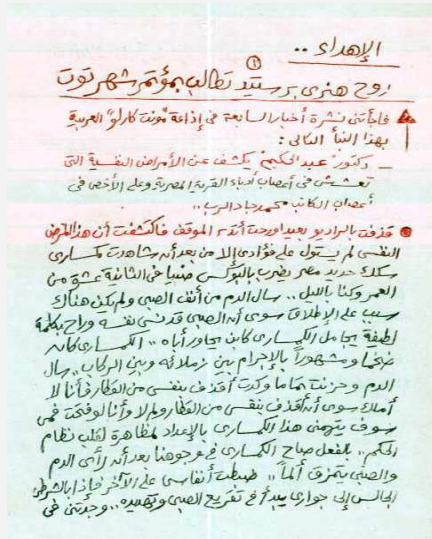
تمهيد:

هذا الكتاب هو مدخل لما أسميناه: **الحكمة الملقاة على قارعة الحياة** وهي محاولة لمعرفة المسار المشترك بين المرض والإبداع، ونقط التفرع ثم وجه الاختلاف، وهي فرصة لرؤية المعاناة القاسية بعد انحراف المسار، وأخيراً هي باب، يفتح على تاريخ مصر.. فوق درب التوحيد نحو وجه الله.

.....

وإذا كان التبرع بالجسد للتشريح بعد الوفاة (الطلبية الطب والامحاث) هو من أكرم ما يتصف به بعض العلماء والبشر الذين يحبون العلم والناس، فإن الصديق محمد جاد الرب قد فعل ما هو أعظم وأكرم إذ تبرع بعقله (عقله) للتشريح وهو على قيد الحياة دون تحذير أو إعداد، في وقت نشعر فيه بالعجز الكامل عن مديد المعونة اليه.

لك الله يا صديقنا المتالم.... وحفظ الله مصر التي تحبها، وأسهم تطوعك هذا في إنارة الطريق لبنيتها، وربما يكون هذا هو الأمر الوحيد الوحيد الذي يكافئ ما فعلت... .. ويطمئنك.



عن الاهداء

.... رغم أننا مازلنا في مرحلة الإهداء إلا أننا سنرى صديقنا جاد الرب بمجرد أن يعلن نيته في "الاهداء" يتركه جانباً ويفسى يحكى في تسع صفحات بالتمام والكمال - بخطه الجسيم - كلما ليس له علاقة، مباشرة أو ظاهرة، بالإهداء (أنظر المتن)، ذلك أنه بمجرد أن يهم بالإهداء تقفز إليه روح هنري بريستد مباشرة تطالب بمؤتمر "شهر توت"، لكن إذاعة مونت كارلو الخقود الدساسة لاتترك روح هنري بريستد تعلن المطالبة بالمؤتمر المذكور لأنها تنطلق تشهر به وبمرضه إلى آخر ما سنرى، ورغم كل ما جاء في النص فإن الخطاب الذي أرفق به هذا الكلام كان واضحاً أنه يعنى الإهداء فعلاً، يقول في هذا الخطاب:

"الاستاذ الدكتور عبد الحكيم نور الدين

فكرت في تحرير كلمة الاهداء التي هي لافته معنادة في صدر أى كتاب وإذا بالتفكير يقودنى إلى كتابة الكلام المرفق، أرجو نشره بعد المقدمة مباشرة، وقبل الدخول إلى الفصل الأول والخاص "بنشيد الشمس" وشكرا ألف شكر

توقيع: محمد جاد الرب

إلا أنه بعد التسع صفحات الأولى بدأ جاد الرب يعدد الإهداءات، ولما كان تحركى في ترتيب النص (المتن) يتم في أضيقت نطاق فقد فضلت أن أورد هذه الصفحات باعتبارها على أحسن الفروض مقدمة الإهداء (!!!).

طريقتى في الحوار والتعليق هذه المرة سوف تتبع أسلوب إيراد النص كاملا بادئ ذى بدء مع عينات بخط يد المؤلف حتى يستطيع القارئ أن يتتبع بنفسه مسار تفكيره مستقلا عن تعليقى، ثم يأتى تعليقى بعد ذلك اجتهاداً مفرداً من وجهة نظر محدودة، وللقارئ أن يخرج بما شاء، كما هو عهدنا منذ البداية.

المتن: نص ما كتب جاد الرب

الإهداء ..

روح هنرى برستيد تطالب بمؤتمر شهر توت

فاجأتني نشرة أخبار السابعة في إذاعة "مونت كارلو" العربية بهذا النبأ التالى:

دكتور عبد الحكيم" يكشف عن الأمراض النفسية التى تعشش في أعصاب أدباء القرية المصرية وعلى الأخص في أعصاب الكاتب محمد جاد الرب"

قذفت بالراديو بعيدا ورحت أتدبر الموقف فاكتشفت أن هذا المرض النفسى لم يستول على فؤادى إلا من بعد أن شاهدت كمسارى سكك حديد مصر يضرب بالبوكس صبيبا في الثانية عشرة من العمر وكنا بالليل.. سال الدم من أنف الصبي ولم يكن هناك سبب على الإطلاق سوى أن الصبي قد نسي نفسه وراح بكلمة لطيفة يحامل الكمسارى كابن يحاور أباه "الكمسارى كان ضخما ومشهوراً بالإجرام بين زملائه وبين الركاب"سال الدم وحزنت تماما وكدت أقذف بنفسى من القطار فأنا لا أملك سوى أن أقذف بنفسى من القطار ولم لا وأنا لو فتحت فمى سوف يتهمنى هذا الكمسارى بالإعداد لمظاهرة لقلب نظام الحكم "بالفعل صاح الكمسارى في وجوهنا بعد أن رأى الدم والصبي يتمزق ألما "ضبطت أنفاسى على الآخر فإذا بالشرطى الجالس إلى جوارى يبدأ في تقرير الصبي وتهديده.. وجدتنى في تلك اللحظة قادراً على توجيه الدعوة بالصمت إلى الشرطى المضحك أن الشرطى قال:

الولد غلطان.. ويضحك ليه مع راجل أد أبوه؟

الكمسارى غلطان لأن الدم ما يزال يتدفق" عيني عليك يا
ابني الذي ما امتلكت حتى أن أخفف عليك الموقف بأى كلمة
وليتنى كنت قد امتلكت"

هكذا وجدني وبعد أسبوع من إذاعة الخبر الخاص بالكشف عن
حالي أضحك وأقول:

طب وماله" أنا مريض نفسى صحيح لكن مرضى من نفس النوع
الذى كان مرض الراحل العظيم "جيمس هنرى برستيد" الذى
عاش عشرين عاما يدرس ويترجم ويؤلف عن سلام العالم كتاباً
عنوانه: فجر الضمير يدعو فيه شباب وطنه أمريكا إلى الإيمان
بقوة هذه الأرض المصرية الخارقة قوتها فى إنتاج زهور الحضارة
وحراسة السلام العالمى لأنها الأرض الأولى ذات الخصوبة المجرية
هذا الرجل العظيم نفسه قد أصيب وعلى أرض مصر بالعصاة وتلاذ
وذلك حادثة شهيرة ولولا لباقة أبنائه من المصريين من أمثال دكتور
دكتور حسين فوزى ودكتور أحمد فخرى لقضى الرجل فى ذات المساء
الذى كان فيه من حكومة مصر فى زمانه ما كان"

إن القصة مشهورة ولا توجد أى أهمية لروايتها بالتفصيل
"فقط نشر إليها لأن" برستيد" العظيم كان قد تحول على
أثرها إلى البكاء وأنفه يشلب الدم كما هو حال ابنائنا
الصغار اليوم تحت معاول كمسارى القطار المجنون"



كان "برستيد" قد حصل من صديقه المليونير الأميركي "روكفلر" على عشرة ملايين دولار لبناء متحف مصري يجمع مظاهر الحضارة المصرية القديمة بدلاً من ضياعها بين اللصوص وتجار العاديات، والذي حدث أن برستيد لم يجد المشقة في الحصول على المبلغ من صديقه "روكفلر" لكنه وجد الاستحالة في قبول الحكومة المصرية في زمانه للمشروع.. حيث فسرت الحكومة الأمر بأنه محاولة للاستعمار تأتي من ناحية الولايات المتحدة الأمريكية خصوصاً وبرستيد يشترط أن تشرف على المتحف لجنة تتألف من مصري وألماني وأميركي وفرنسي.. وهي الأمم التي تهتم في الواقع بدراسة وحماية التراث المصري القديم.

قالت الحكومة أن مشروع المتحف مشروع استعماري فأصيب "برستيد" العظيم بالذهيار عصي فلقد كان الرجل في الواقع يقصد باللجنة الرباعية إدخال أميركا إلى مصر في صورة تناسب الروح الديموقراطية الذي يسعى إليه دائماً عاملاً في نفس الوقت على تقليص النفوذ الاستعماري الفرنسي الذي كان يحتكر وحده التحدث باسم مصر القديمة.

مايعينني هنا هو أن أنف برستيد أخذت تشلب الدم تماماً كذلك الصبي في ذلك القطار لولا أن برستيد" قد وجد في تلاميذ المدارس العليا من أقام له حفل شاي وطيب خاطره وقالوا له:

تعيش وتأخذ غيرها يابروفيسور برستيد"

إن مرضى بإذاعة "مونت كارلو" من لون هذا المرض ولسوف تدهشني يا إذاعة "مونت كارلو" إذا علمت بأن أنفي سوف يظل يشلب دماً مدى الحياة لأنني لا أرى أي أمل في أن تنهض بلادى بهذه الثورة الثقافية التي تعيد إليها كل أمجادها القديمة والتي تحقق من خلالها كل أحلام "برستيد" في النمو الروحي الإنساني على ظهر كوكب الأرض"

إن من حق القارئ المريض أن يستكثر علي فقير مثلي أن يحلم بكل هذه الأحلام خصوصاً إذا ما علم أنني أديب قرية بركة السبع هذه القرية القذرة التي يدعوها مدينة ولا اعرف لماذا؟

إن من حق القارئ أن يستكثر علي مجرد أن يكون لي كتاب أحاطب من خلاله الأمة فالذي حدث خلال ربع القرن الماضي أن أبيع كل شيء حتى وجدنا أنفسنا عرضة للضرب بنفس أسلوب الكمساري الجنون والصبي الوديع في قطار العاشرة مساء مع فاروق بسيط حيث الدكتور فؤاد زكريا أستاذ الفلسفة بجامعة الكويت هو المضروب الذي يشلب دماً وأما الكمساري ضاربه فهو تلميذه الكويتي الذي ينطلق من موقف أن أستاذ الحكمة جانع يبحث عن الطعام حيث الواقع أن أرض الكويت هي الجائعة وحق عليها البحث عن الحكمة هذا هو مرضي يا إذاعة "مونت كارلو" ياداساسة" فافردى ماشئت من الزمان للاستاذ الدكتور عبد الحكيم وليقل الرجل ما يقول فإنني لن أخشى أي طبيب نفسي يفضحني بعد اليوم وبعد أن احتفظت بصور:

صبي القطار الذى يشلب دماً..

2 - جيمس هنرى برستيد الذى يشلب دماً

3 - دكتور عبد الحكيم نفسه الذى يشلب دماً

من خلال أدبه الصافي والذى يأتينا من خلال بضعة من الكتب تحتاج إلى عام كامل لدراستها وتقييمها.. لكنها موجودة عندي بالكامل وأى تحرك مضاد من إذاعة " مونت كارلو" سوف يدفع بي نحو هذه الكتب لتنسيق شهادتى ضد الإذاعة اللعينة استناداً على دعوى الطبيب"

ومن مظاهر مرضى النفسى أيتها الإذاعة الحقود أننى أنصت بالليل إلى هذه الأصوات التى تأتينى لاسلكياً " أصوات إشعيا أبى الأنبياء الاسرائيلية وأصوات جيمس هنرى برستيد...، أصوات البرت شفيتسر وأصوات أختاتون وعيسى ومحمد وحتى صوت الدكتور عبد الحكيم على حادثته قد بدأ هو الآخر يرسل نفسه باتجاه حجرتى"

ماذا يقول لى إشعيا؟

يقول لى إشعيا: قم وانفض واطرد شباب بركة السبع الراقد إلى جوارك يا أختى" إنهم عارلك ومسبة ويجب عليك أن تعلمهم الأدب فلا يجلس أحد في حضرتك وإنما يسمح لهم بالوقوف فقط والحديث بأدب والإنصراف على الفور: إنهم يتعلمون الخمول العقلى على يدك فاطردهم تكتب لك البراءة على الأقل لأنك إذا فشلت في تربية شباب قريتك فقيم إذن سوف تنجح؟ اطردهم خارجاً وليغضب المغفلون؟

ماذا يقول برستيد؟ الدعوة إلى مؤتمر شهر توت

قال لى جيمس هنرى برستيد ذات مساء: يجب أن تنهض ياننى بالدعوة إلى مؤتمر ادبى وثقافى مصرى عظيم يعقد خلال شهر توت " إن عندكم بابى المجلس القومى للثقافة وهو مجلس لا يجد عملاً بعينه ينهض به فلماذا لا تقترح على ذلك المجلس النهوض بمؤتمر شهر توت المطلوب؟

قلت لأستاذ الأساتذة:

- وهل أنا صالح للتقدم إلى الجهايزة أحدثهم في شأن ذلك المؤتمر: ألا تعرف أن إحدى اللجان الضعيفة بمجلس الشعب قد نهضت بمبادرة " ابن عربى " في فتوحاته المكية ولم يتحرك ما تدعوه باسم المجلس القومى للثقافة هذا؟

ثم ماذا تحب يا برستيد أن يكون هناك في هذا المؤتمر الخاص بشهر توت؟

وقال: برستيد وهو يرتجف وأنفه يشلب دماً غزيراً بسبب بأسه من وصول صوته إلى أى مسئول في العالم:

- لقد ابتكر المصريون خلال العصر الفاطمى العديد من صور الحضارة الاسلامية والتي حفظت للاسلام روحه الأصيل" أعياد

وافراح وموالد وموسم للزكاة عظيم خلال شهر ربيع الثانى "كل هذه المظاهر حفظت روح الإسلام من الموت فلماذا لا ننهض بمؤتمر سنوى خلال شهر توت أول شهور السنة القبطية فندعو إخواننا الأقباط أو المسلمين إلى اعتبار المؤتمر عيداً للوحدة الوطنية ويكون أن أختاتون الراقدة تحت التراب المصرى لا يزال " يكون أنه يجد خلال هذا المؤتمر متنفساً أصيلاً فقد قفز وعى المصريين الى هذه الدرجة التى تدفعهم فى شهر توت عنخ آمون إلى الاحتفال بميلاد أختاتون.. رمز الوحدة الوطنية والثورة فى ركن واحد "

إن المجلس الأعلى للثقافة يمكن له أن يجد دوراً واضحاً يؤسس من خلاله موقعه الأدبى فى نفوس المصريين الذين يتسوا من كثرة هذه المجالس التى تترك الفكر ولا تحميه ومثال ابن عربى فى مجلس الشعب مثال بارز - ويمكن تلخيص الموقف من مؤتمر شهر توت فيما يلى:

أولاً: هل يكون المؤتمر مصرياً محلياً - أم عربياً عالمياً وهل يمكن أن تنهض محافظة المنيا بالتحديد باستضافة المؤتمر حيث المنيا وبالتحديد - تل العمارنة.. مركز القلب بين أرض القرية المصرية - حيث هو مؤتمر عقل القرية مؤتمر الماعت"

ثانياً: هل يجرى فتح الأبواب لإعادة بناء "خواتون" مدينة الثورة الأم من خلال اتحاد ادباء قرية مصر الواجب النهوض ببنائه أيها المجلس القومى للثقافة أم ماذا يكون الأمر؟

ثالثاً: إننى أطالب المجلس القومى للثقافة بنقل تمثال أختاتون الضخم من مكانه بالمتحف المصرى إلى ميدان الجديد بتل العمارنة حيث نبدأ ومن حول أختاتون فى إعادة بناء خواتون أقدم مدن الإله الواحد الأحد.. أتون "

قال كلمة وأختفى....

برستيد يضع يده على أنفه يحبس الدماء التى انفجرت جزعاً من ارتفاع موجة الجهل فى مصر موجة السوقية إلى درجة لم يجد معها أذناً صاغية لاقتراحه بقيام مؤتمر سنوى لشهر توت عنخ آتون أما أنا فقد رحمت مشغولاً بالقارئ أجهز له مائدة الإهداء من خمسة أطباق وأترك له الخربة فى اختيار الإهداء المناسب فإذا كتب إلينا. القارئ برأيه احترمنا رأيه فى الطبعة الثانية من هذا الكتاب ووضعنا له الإهداء الذى رآه مناسباً ثم أغفلنا الأربعة الأخرى.....

.....

.....

وبعد

أرجو أن أكون قد نجحت - ولو جزئياً - فى نقل عينة مركزه مما سميت "حركية الجنون/اللاجنون" ومن ثم التعرف على صعوبة ما تورطنا فيه، وبما حذا الحفز إلى مواصلة المحاولة.

آخر لحظة .

قررت - إحاق ملحق قراءتى لنص جاد الرب، بدلا من الإحالة للموقع ليكون تحت أمر وإذن من يرى الرجوع إليه اختيارا .

الملحق

التعليق (بجى الرخاوى)

أولا: بعد هذه الرحلة تحت عنوان "الإهداء" لم يهد جاد الرب كتابه (أو كتابته) لأحد بعد.

ثانيا: هذه القصة عن إذاعة مونت كارلو لا يمكن أن تدرج بسهولة تحت عنوان الخيال المريض، فقد تكون مجرد عرض فنى خاص لما يريد أن يقوله صديقنا جاد الرب عن نفسه وعن مشكلته وعن مرضه الحقيقى أو المزعوم، المتهم به أو المفترض فيه

ثالثا: هذا التصوير المؤلم لحادث الصبي والكمسارى قد يشير إلى رمز شديد الصدق لأصل الأزمة الممزقة عند المؤلف، إن كان ثمة كتابا، أو المرض إن كان ثمة مرضا، هو:

"إنه فى بداية صباه، وهو يركب قطار الحياة متيما محب مصر، حالما بكل ما هو صبيانى وردى جميل، ذهب يهتمى بسلطة ما (الكمسارى) قد تكون هى الأب أو المعلم أو الحكومة ناسيا واقع لحظة أو لحظات (... الصبي قد نسى نفسه وراح بكلمة لطيفة يجامل الكمسارى كابن يحاور أباه..) وفجأة، وبلا سبب يقابل بالصد من ظلام جاهل، (وكنا بالليل) وأخطر الأمراض النفسية لاتأتى نتيجة لوالد يقسو على ابنه، أو لابن يشتهي أمه، أو حب لم يتحقق، إن أقسى ما رايت فى خبرتى يأتى نتيجة لظلم غيرمفهوم وعقاب بلا جريرة وقدر بلا توقيت وتضاعف الآثار المدمرة إذا أتى هذا العقاب أوالسحق أو الظلم من مصدر يتوقع منه الفرد الخنان (خاصة فى لحظات ضعفه) ومهما حاولنا أن نجد لهذا الحدث سببا ظريفا يمثل "عقدة" أو "حدثا" فإننا نفتعل شيئا لم يحدث أو على أحسن الفروض ليس له كل الأهمية كما يشيع .

إن التكوين البشرى، والتغذية الصحية، يحتاجان إلى "المعنى" أولا وقبل كل شئ، يحتاج الإنسان إليه أكثر مما يحتاج الى الخنان او إلى الرعاية والمعنى ليس بالضرورة عمقا موضوعيا خاصا، ولكن المعنى هو تسلسل مفهوم يربط المقدمات بالنتائج، ليس بالضرورة ربطا خطيا مسطحا ولكنه ربط العطف بالارتواء، ربط الفراغ بالملء، ربط الغموض بالوضوح وعكس ذلك تماما تلك المفاجآت التى تأتى من الظلام غير المفهوم (وكنا بالليل) فى وقت الأمان بعد القاء سلاح الخذر (قد نسى الصبي نفسه وراح بكلمة لطيفة يجامل الكمسارى كابن يحاور أباه) فإن مثل هذا القهر الساحق وفى وقت مظلم بلا معالم، مع إلقاء السلاح الذى يبعث استرخاء الأمان هو السبب الأهم

في اضطراب التنظيم الفكرى والوجودى (بما يقابله من تنظيم نيورونى وخلوى).

لقد أساءت نظرية التحليل النفسى - أو قل سوء استعمالها - أشد الإساءة حين اختزلت مأساة الوجود الإنسانى إلى هذه العلاقة الخفية بين حادث بذاته ومرض بذاته، مهما كان هذا الحادث غائرا فى اللاشعور، ومهما كان ظهوره وتفريغه مصاحبا بالشفاء من عرض ما، إن النفس الإنسانية أعقد تركيبا وأبعد منا لا من تلك القصص المتداولة عن العقد والأحلام، والذي يخل اضطراب تناسقها هو الافتقار إلى المثير المناسب (تسمى أحيانا المعلومة المناسبة appropriate information) للجهاز المناسب (المخ أساسا " الموجود" عامة)، وفى الأوقات العادية مع اليقظة والحذر تقفل كل أبواب الاستقبال إلا من بعض المعلومات المحدودة المترجمة فوريا إلى المطلوب (حتى ولو لم يكن هو المطلوب)، أما حين يسترخى الإنسان ملقيا سلاحه معلنا احتياجه مستأمنا آخرأ معتمدا عليه، فإنه يكون مفتوحا لاستقبال كل شئ، فإذا فوجيء بهذه الخيانة انسحق وشلب دما وظل ينزف ربما حتى النهاية.

ويبدو أن صديقنا قد نزف حتى الضياع إزاء هذا الهجوم المفاجئ من قوى عاتية غير مفهومة الدوافع لم يملك أمامها إلا... إلا أن يتخلى عن الحياة أمام القهر الطاغى، و الحزن المذل غير المحتمل.

(سال الدم، حزنت، وكدت أقذف بنفسى من القطار فأنا لا أملك سوى أن أقذف بنفسى من القطار).

والطفل يولد بلا حول ولا قوة.

ثم يبدأ فى تحسس طريقه إلى الحول والقوة بمعونة أصحاب الحول والقوة، فإذا فوجئ بهذا القهر غير المفهوم تراجع إلى حالة اللاحول واللاقوة Helplessness وهذا التراجع الذى يشير إلى التوقف عن الحياة ليس بالضرورة ان يكون انتحارا ولكنه انسحاب متجمد، وهذا من أخطر ما يصيب مسيرة الإنسان الطفل - أو جاد الرب على أولى خطوات الدرب.

والشعور بالعجز يتضاعف بالشعور بالترك (عيني عليك يا ابنى الذى ما امتلكت أن أحفف عليك بأى كلمة).

وهو ينسحب لأسباب منطقية لأن أى كلام " مخالف لما هو سائد" نتيجهته هى أن يتهم بقلب نظام الحكم والتكثيف هنا واضح فالصبي هو الحاكم (جاد الرب) الحاكم هو الصبي، والصبي أو الحاكم هو التهديد للقدم بقلب نظامه، والتكثيف على الجانب الآخر هو الشرطى والكمسارى اللذان يمثلان السلطة العسكرية أو الاقتصادية أو قوة السلاح أو قوة المال.... معاً.

ثم ينتقل المؤلف فجأة إلى مرضه النفسى، وكأنه يؤكد هذه الربطة بين الشعور بالعجز والترك وبالسحق المفاجئ الآتى من ظلام فى وقت الحاجة والأمان وبين مرضه، وإذ يشعر بوصمة المرض

فتورة الصبي (لأنه صبي) في مواجهة الكمسارى والعسكرى،
 وحب هنرى بريستيد للحضارة في مواجهة الروتين والإهمال، وأمل
 المؤلف في ثورة ثقافية تنهض ببلاده ، هي مقابلات متكاملة من
 أول وجديد يوردها جاد الرب وهو يرجع إلى نفسه في معنى هذا
 الكتاب ونشره، ليخاطب من خلاله الأمة.....!!

وأنا لا أعرف محاولات جاد الرب في مخاطبة الأمة وإصلاح
 المائل، ولكنى أحسب على قدر ما استنتجت من مقولات متفرقة
 وقصاصات متناثرة أنه لم يتك بابا إلا طريقه، إلا أنه يبدو
 أنه افتقر تماما إلى المثابرة، مع تقدير مدى القهر الذى لا
 يسمح لمثله (فقير مثلى أن يحلم.. الخ) بالتنفس فضلا عن
 الكتابة والنشر.

ولا شك أن الثائر - وهو مبدع بالضرورة - لا يكون ثائرا
 بمجرد بأن يعلن رفضه أو اعتراضه، ولا حتى بأن ينجح في قلب
 نظام الحكم، لأن القلب قد يحمل ما كان يحمل الظهر، وإنما
 الثائر هو الذى يستطيع ضبط خطاه في مساحة " السماح" وأن
 يوالى ضرباته في إصرار معدا بكل وسيلة لمقومات الاستمرار من
 بعده، وأن يغير نظام الحكم لا مجرد أن يقلبه " رأسا على
 عقب" ولكن أن يغيره أسفلا إلى أعلى، وهذا يحتاج إلى نفس طويل
 أطول من ضرورة " مواصلة الاتجاه" في مسار الابداع، لأن
 المبدع ملزم أن يحافظ على اتجاه إبداعه حتى تنتهى ولادة
 فكرته وإنتاجه المحدود، أما الثائر فهو مطالب بالحفاظ على
 اتجاهه باستمرار، نعم باستمرار في أى موقع وأى زمن، في
 بيته وسجنه وفكره وحتى أحلامه، ولا بد إذا ونحن نحترم صرخات
 جاد الرب أن نقول له بألم مضاعف " ولو....." إن يأسك
 هو جريمتك (لا أرى أملا..... الخ) .

" ولو....." إن تذبذبك هو ضياعك.

" ولو....." إن الذى تحلل خلال ربع قرن (إن كان يعنى
 آثار ثورة 52) هو هو دلالة الذى تكون خلال ربع قرن، والذى
 لا يرى إلا التحلل لن يشم إلا العفن، أما الذى يرى ما هو مع
 التحلل فسوف يجد التكاثر الخالق للحياة ، حتى ولو كان مثل
 تكاثر البكتيريا في العفن (تشبيهه مع الفارق) .

"ولو..." فليس فخرا أن تكون يا سيدى ذلك الصبي الوديع
 أمام الكمسارى المجنون، ولا أن تشلب دما.

إن الوداعة في عالم البشر الآن خدعة كبرى لوح بها جان جاك
 روسو وكل حالم هارب في الشعر أو في السخط أو في الطفولة
 الغبية، إن الوداعة على جهالها، هي هي الضعف الأشد.

" ولو..... يا صديقى جاد الرب "

ومع ذلك فيالهنفى على أملك ووحدتك والدم ينزف من أنفك
 وحنك وعيونك واحشائك وقلبك جميعا، إن كل " ولو...." مضت
 كانت تخرج منى محترقة قلبى قبل أن تصل إلى قبلك... صدق أو
 لاتصدق

أنا أرفضك، ولا أرفض أملك وصدقك.

أنا ضد يأسك (حتى هذه الوقفة فقد تتفجر أملا فيما بعد) ولكن ذلك لا يعنى أنى ضدك.

أنا ضد تناثرك ولكن ذلك لا يبرر أن أنكر أملك..

ثم ينتقل جاد الرب إلى مقابلة رابعة، إلى الحديث عن الدكتور فؤاد زكريا وكيف أهانه المال الغاشم إذ امتهن طالب أرن بالكويت حكمته، واستهان بها، ثم تركه هو أيضا يشلب دما.

لينتقل ثانياة إلى مرضه الذى لا يحشى - الآن - أن يعلنه مادام وجد من يسمع له، والمريض (أى لو كان جاد الرب مريضا) يحف نصف مرضه أو أكثر لو وجد من يسمعه، أو حتى من يتصور هو أنه يسمعه (يسمعه يسمعه لا يتظاهر بسماعه) وهو يعلن أن هذه الفرصة التى أتيجت لإعلان أسباب مرضه عى التى هدته إلى أنه وحيد زمانه، وأن مأساته ليست منفصلة عن القانون القائم، فمثله مثل هنرى بريستد والاستاذ الدكتور فؤاد زكريا... الخ، والذى يعانى كل هذه المعاناة بمجرد أن يجد المجال للإعلان بالقبول. وكذلك الفرصة للتشابه مع إنسان ناجح متماسك، يطمئن قلبه ويلم تناثره، وهذا هو أساس العلاج (كل أنواع العلاج)، وخاصة العلاج النفسى الجمعى، وهذا يكتشفه جاد الرب مجدس الإبداع والمرض معا فى طلقة واحدة.

وهو ينتهى إلى إعلان التطابق الذى اشرنا إليه فى كل ما سبق بصورة مباشرة ولكنه يضيف إليها صورة خامسة فيبعد (1) الصي(2) ونفسه (3) وهنرى بريستد(4) والاستاذ الدكتور فؤاد زكريا...

يضيف إليهم (5) الدكتور عبد الحكيم، وبمجرد أن يعلن انضمام الدكتور عبد الحكيم إلى النازفين دما مقدرًا ماكتب ما آثاره أو طمانه لوجه الشبه أو وحدة الهدف، يغامر بدخول معركته وينتقل من أفكار الاضطهاد والمطاردة إلى تحركات الهجوم والردع.

(وأى تحرك مضاد من " إذاعة مونت كارلو" سوف يدفع بي نحو هذه الكتب لتنسيق شهادتى... الخ)

وهنا يجدر أن ننتبه إلى ظاهرة هامة فى تسلسل فكره وطبيعة موقفه، وهى الاعتمادية على الكلمة دون الفعل، وقد اشرنا إليها ضمنا فى العدد الأول عندما تناولنا أهمية وخطر الكلمات "المضينة" فى حياتنا إيجابا وسلبا.

الهلوسة :

ثم ينطلق جاد الرب للاعتراف بالهلوس مباشرة دون تخرج، ولا تستطيع مثلى من موقعى ومحدودية المعلومات تحت يدي أن يتأكد هل هذا تصوير فى أن هى أصوات حقيقية دالة على درجة مرضه.

والفرق بينهما فرق لا معنى له ما دمنا نتناول دلالتها ووظيفتها لنا نحن، ولكنه فرق جسيم وخطير، إذا كنا نريد أن نفيد من التفرقة بين الإبداع والمرض من ناحية، كما أن وظيفتها تفتق أشد ما يكون الفرق بالنسبة للمبدع عنها بالنسبة للمريض، ذلك أن المبدع إذ يرسم شخصاً أو لوحته يرسمها من ذات نفسه وما انطبع على مخه لا محالة، ولكنه يرسمها بقدرة التماسك المسئول، أما المجنون فهو لا يرسمها ولكنها هي التي تفرمته إثر تناثره وتفككه.

والذي يجعلني أشك في أن هذه الصورة ليست مجرد صورة فنية بالضرورة (فضلاً عن إعلان جاد الرب المباشر بطبيعتها المرضية) هو قوله ".... تأتيني لا سلكياً" فالشعور بالأصوات المؤثرة لاسلكياً ليس من طبيعة الفنان المبدع بقدر ما هو من تفسيرات المريض.

وإذا كان المريض غير قادر على التماسك المسئول وهو يفك الصور المنطبعة على عقله، أو غير قادر على إعادة التماسك بعد أن يفك الصور المنطبعة على عقله، فإن ذلك - كما ذكرنا - لا يبرر إهمالنا لهذه الصور باعتبارها هלוسة والسلام، فهي لوحة فنية حتى لو لم يكن مسئولاً عنها، وكل ما يقوله هو رسالة تصدر من عمق ينبغي أن نفيد نحن منه، حتى ولو لم نستطع هو أن يلم تناثره بعد إرسالها، وعلينا أن نأخذ كل تفاصيلها بكل الجدية والتحميص مثلما نأخذ صور الفنان والأديب تماماً، بل أنها قد تحمل من الفجاجة والتحدى والصدق أكثر مما يستطيع الأديب أن يوصل أو أكثر مما يجرؤ الأديب أن يرى داخل نفسه، ولكنها "في ذاتها" ليست أدباً أو غيره، ولا ينبغي أن تعتبر إبداعاً، أما محتواها فيستحيل أن نفر من احتمال صدقه وعظيم جدواه بالهرب في اعتباره صادراً من مريض أو تسميته بأنه مجرد هلاوس بلا معنى.

وحين يقول جاد الرب: يقول أشعيا، فلابد ان نستمع إلى "أشعيا" معه، حتى ولو كان كلام أشعيا مجرد إغاظه لإذاعة مونت كارلو أو ما يسميه الأطباء هلاوس سمعية، ولو لم نفعل هذا مع الصديق جاد الرب وكل صديق يعاني فكيف ندعى فهمه أو نجرؤ على تعليق لافتة تشخيصية.

ماذا يقول أشعيا؟

إنه ينبهه إلى خطورة الحل السلي، وخطورة انبهار الشباب بما هو مرض استسهالاً للطريق وادعاء للثورة، وفي نفس الوقت يعيظه أهمية خاصة تؤكد بقاء ما هو إيجابي في تكوينه، وما أروعه حين ينقد دور المرض السلي إذ يقول:

(إنهم يتعلمون الخمول العقلي على يدك فاطردهم تكذب لك البراءة على الأقل.....)

..... (إلى أن يقول) اطردهم وليغضب المغفلون)

ولعل أفسى القساة هم الذين يدافعون عن الجنون، تاركين

الجنون يتمادى في جنونه نيابة عنهم، وكلهم يجتمعون تحت لافته ما يسمى " الحركة المناهضة للطب النفسى" antipaychiatry أو أحيانا كما هو الحال في أمريكا " جمعية الدفاع عن الجنون" أو "حركة تحرير الجانين" الخ، وهاهو جاد الرب في تلقائية - حتى ولو كانت مؤقتة - يعلن خطورة هذه اللعبة الهروبية الخبيسة يرفض أن تكون حالته أو مرضيه بؤرة تتجمع فيها سلبيات الشباب تحت عنوان خلوته أو صدقه أو ظلمه والافتراء عليه، وذلك على لسان هلوسة سيدنا أشعيا، فما أهم هذه الهلوسة وأعظمها، لنا على الأقل بالرغم من شطحات جاد الرب... وياليتك يا جاد الرب تسمعها وتعمل بها.. ياليت !!! إذا لقدتنا مبدعا مسئولا وثوريا خلصا إلى تحديد معالم مأساة عصريتك ووطنك، ولكنك انزويت في خلوتك تطلق الصوراخيخ وترسل الإنذارات بلا صوت أو ضوء ومع ذلك فلا بد أن نواجه أنفسنا - وخاصة الأطباء منا - بسؤال أمين:

ماذا يفيدنا نحن إذا هللنا وسارعنا بتسمية ما يقوله أشعيا جاد الرب: "هلاوس سمعية" او "أصواتا مؤثرة". نعم إن هذه التسمية خطوة لازمة إذا أضرت بصاحبها وعزلته عن المجتمع وتركته يغط في أحلامه ويحطط في الهواء، ولكن أليس الألزم منها أن نعرف ماذا يقول اشعيا ولماذا " اشعيا" بوجه خاص؟ رنقا يا سادة حتى ولو ملككم الخوف كل الخوف مما يقول جاد الرب ومما يقول اشعيا جاد الرب.

اما ما يقوله بريستد صديق جاد الرب الحميم: فهو يعرض بديلا عن التفاف الشباب السلبى حوله، ويقترح عليه أن يحسن علاقته بالسلطة والواقع، وأن يحاول عن طريق المؤسسات القائمة " المجلس القومى للثقافة (وهو مجلس لا يجد عملا بعينه ينهض به)!! بأن يقوم بمؤتمر أدبي(!!) (مادام قد فشل - جاد الرب - في تربية شباب قريته).

إذا فصدقنا يقفز من أمله المحبط في الشباب الملتف حوله، إلى أمل غريب أسهل، وكنا نتمنى ان يتعلم من كلام أشعيا وبريستد أن الحلول الأسهل لا تجدى، ولكنه يحلها بالانتقال هربا من ثلة محدرة تصفق له تحت أوهام جهضه إلى.. إلى عقد مؤتمر!! هكذا مرة واحدة يا جاد الرب؟ من فشل في تربية شباب قرية إلى مؤتمر!! ألا يذكرك هذا وأنت الثائر - أو من تبنى أن تكونه - بالتزواج الدائم بين فشل "الإذاعات العربية" في استعادة الأرض وبين عقد المؤتمرات المثالية التي تنتهى بتوصية بإصلاح سماعات" الراديوها" عبر كل الوطن العربي؟ لقد أخذت على خاطري منك ولكنك سرعان ماتصلحنا بتذكيرنا بصعوبة الموقف، وبتفاهة المؤتمرات، ومخطورة القهر الفكرى حتى على مستوى مجلس الشعب إذ يصادر " الفتوحات الملكية " لابن عربى

ولكن بريستد لا يزال يشلب دما من أنفه (مثل الصبي والدكتور فؤاد زكريا والدكتور عبد الحكيم) ياسأ، وهنا عمق جديد لهذا التزييف المكثف

فالنزيف عادة يرمز على القتل أو الى القهر أو إلى الألم، أما ان يرمز إلى اليأس من التواصل فهذه صيحة جديدة من جاد الرب لا بد من احترامها اضعافا مضاعفة، إن الألم الذي يوصل الانسان إلى حد التناثر والنزيف الداخلي هو الاستغاثة الملحة بلا مغيث، ثم الإصرار على الاستغاثة مع اليقين بعدم الاستماع وهذا هو ماذهبت إليه كمحور جوهرى في تفسير مرض الفصام بوجه خاص (ولا يعنى هذا أن الصديق جاد الرب عنده هذا المرض فحذار)، إذا فجاد الرب حين يقول:

" وقال بريستد وهو يرتجف وأنفه يشلب دما غزيرا بسبب بأسه من وصول صوته إلى أى مسئول في العالم" إنما يربط بين حاجة الطفل إلى مداعبة والده (الكمسارى) وحاجته هو إلى نشر كتابه وتوصيل صرخته، وحاجة بريستد إلى أن يسمعه المسئولون ولا يعوقه الروتين، ومن أهم العوامل التي تحدد مسار كل من المبدع والمريض هو أن يجد من يسمعه، وخاصة ممن يعتبره صاحب كلمة أو سلطة، وخاصة في بداية طريقة، وهذا ما يسمى "تبنى الأكبر للأصغر" (في قديم العهد يقال: تتلمذ على فلان وهو ربيب فلان، وهو صنيع فلان، سواء أكان هذا الفلان من رجال الفكر أو المال أو السلطة) وكان ذلك يتيح الفرصة لبعض المواهب أن تتزعزع، ولم يكن يحمل كل هذا الخوف من الانحياز في ظل الكبير، ولم يغن عنه الادعاء المبكر بضرورة الاستقلال الفورى قبل الأوان كما يتصور بعض الشباب.

إن جاد الرب - لابسا بريستد - يتصور ليجد مسئولا يسمع له، ولعله ماضى أن يعرض عقله للتشريح هنا إلا اتصوره أنه بذلك يحقق بعض هذه الغاية.

وهنا ينبغي ان نعلن من خلال ماساة إعاقة جاد الرب في منتصف الطريق ثم رده إلى تهويمات البداية ان " المناخ" لابد أن يتغير حتى لا نفعل كلنا مثله، أو نكف عن التفكير والإحساس أصلا.

ثم نعود إلى ذلك المؤتمر الذى يعرضه كبديل عن فشله مع الشباب وفشل الشباب معه فنلاحظ أن وراء هذا المؤتمر موقفا إيجابيا حقيقيا إذ يبدو أنه يعتمد عليه تماما - في ذاته - ولكنه أيضا:

(1) يريد من خلاله الحفاظ على الشكل على أمل أن تدب فيه روح المضمون أجلا أو عاجلا (مثلما حاول الفاطميون الاحتفاظ بروح الإسلام من خلال شكل المولد).

(ب) وهو يريد أن يشير إلى تأكيد جوهر الدين، ودوره الحضارى في التوحيد بين الناس وما أروع استعماله لكلمة "أو" حين يقول " فتدعو اخواننا الأقباط أو المسلمين" فهى دلالة على انتقاء تعصبه إلا للروح الحضارى الأصيل، "أو" هنا تؤكد صدقه أكثر مئات المرات من استعماله "لواو العطف" إذ قد تعنى الأخيرة تجميعا مدعاة، ولا تفيد عمق الاتحاد الحقيقى.

(ج) إنه يريد أن يرجع إلى أصل الإيمان والتوحيد بإحياء

هذا الرمز المصري العبقري، يجمع ما سماه الوحدة الوطنية وهو يقظ إلى أن أكثر المصريين قد "..... ينس من كثرة هذه المجالس التي تربك الفكر ولا تحميه".

ولكنه يستمر في مناقشة تفاصيل الشكل من حيث " الموقع" (حافطة المنيا - تل العمارنة) و"المدعوون" هل يكون حلياً أم عربياً أم عالمياً، ثم إعادة البناء ولكنه يبني مدنية للثورة بديلاً عن بناء ثورة بعد فشله في تربية الشباب، ثم ينقل التمثال..... الخ الخ.

ما هذا كله يا عم جاد؟

ما هذا كله؟

هل تتصور وأنت بكل هذا الألم، وسط كل هذه الدماء النازفة من أنفك وأنف أمثالك مع اختلاف مواقعهم، ومع فشلك ووحدتك إلا من شباب سلبى بشهادتك يحيط بك ويصفق لتستمر كما أنت ويستمررون كما هم، هل تتصور أن الحل هو إحياء الشكل بكل هذه التفاصيل والآمال والطقوس؟؟

إنك من موقعك الفاشل هذا (ولامؤاخذة) تحذرنا ضمنا من الاعتماد على أناشيد الحضارة القديمة، وصلوات الأثرية، والتحك باللقوش على الأحجار والتباهى بديكورات الأجداد.

ولكنك من موقعك الفاشل هذا أيضاً تذكرنا بأجدادنا الموحدين وبعثت وغباء التعصب، ومجتمية الأمل، وبمسئولية التاريخ.... بالعمق ضياعك يا أخی، وبالشرف المك، وبالضرورة شكرك في آن واحد، وعذراً.

ولتسمح لي أن أؤكد على ظاهرتين غلبتا على كتابتك (وربما حياتك)، حتى توقفت وأصبحت تهمة المرض هي انساب صفاتك رغم كل هذه النبضات الإبداعية المتناثرة.

الأطناب والتكثيف وإعادة المطابقة:

1- اولهما الإطناب، وهذا ما سنرجع إليه في حلقة قادمة ونحن نناقش ضرورة المحافظة على الاتجاه لیتم الإبداع.

2- وثانيهما التكثيف: Condensation (و فرط التداخل overinclusion) حيث يبدو عندك في مظهرين: أن تحمل التعبير الواحد أكثر من معنى حتى أن الإطناب قد يكون نتيجة غير مباشرة لذلك، مثلما كان يعنى الطفل عندك ذاك والفطرة والمبدع والحضارى في آن واحد، كما كان الكمسارى والحكومة والسلطة تعنى معنى واحداً هو ما تعنيه أيضاً الصورة الأصلية، ومجرنا هذا إلى نقيض التكثيف وهو تعدد الصور وملاحقتها لتفيد نفس المعنى ولعلنا نصف هذه الظاهرة مبدئياً باسم "إعادة المطابقة" وهي تكاد تكون عكس التكثيف حيث تختلف الصور التركيبية والتعبيرية لتؤدى قامت بنفس الوظيفة.

والظاهرة ونقيضها لها نفس الدلالة التركيبية، وهي لازمة للإبداع ومتواترة في اضطراب الفكر عند الفصامى خاصة....

فالمبدع (في الشعر خاصة) يجد في اللفظ الواحد معان مكثفة تسهل له إعادة النبط في اللفظ إذ يتراكم مع ألفاظ آخر بإيقاع جديد لغرض جديد، وهو في نفس الوقت قادر على توصيل فكرته بأكثر من صورة وأكثر من تعبير.

ويحدث هذا نتيجة لعدم تصلب وهجود ما انطبع على فكره من صور بمعانيها وتفسيراتها.

والمضطرب تتفكك الصور المنطبعة لديه فتتلاحق وتتعدد المعاني وتتكثف داخل اللفظ الواحد أو التعبير الواحد وفي نفس الوقت قد تتلاحق الصور حتى ولو تباعدت تفاصيلها لتؤدي معنى جوهريا واحدا لعله هنا "صرخة الوحدة"... واستغاثة التواصل" والفرق بين المبدع والمضطرب يكمن في جرعة هذا التكثيف وإعادة المطابقة، ووظيفتها في النص الإجمالي، وأثرهما عليه شخصيا، وإمكان تلقيهما من آخر... ويبدو ان هذا كله لم يتوفر بدرجة إيجابية كافية عند صديقنا جاد الرب في مرحلته الحالية.

أما المبدع فإنه من خلال هذا التفكيك المثري الذي يستطيع أن يضمن اللفظ والصورة الأدبية طبقات من المعاني لا يحل بعضها محل البعض وإنما يظهر بعضها من خلال البعض، وبعض المبدعين (الشعراء خاصة) يبالغون في ذلك حتى يغمضوا، وهذا في ذاته ليس عيبا لأنه يميزه عن التصرف العادي والكلام العادي أما عند صديقنا جاد الرب فقد تضاعف هاتان الظاهرتان حتى اختلطت الصور دون أن ينسج منها كلا موحدا في نهاية النهاية، وستجد بعد ذلك في أكثر من موضع أن الإبداع والمرض يتفان عادة في طبيعة الظاهرة وتركيبها في الخطوات الأولى لها، ولكنهما يختلفان اختلاف النقيض مع النقيض في مسارهما والخطوات الأخيرة لوظيفتهما.

والذين يخلطون بين الإبداع والمرض يخلطون بسبب تركيزهم على هذه الخطوات الأولية المتشابهة تماما.

والذين يميزون بينهما تميز الضدين يفعلون ذلك بسبب تركيزهم على الخطوات الأخيرة، إذا فينبغي التحذير من الإسراع في الحكم على أي جديد غريب إلا بدراسة الطولية المتأنية للعملياتين بداية ونهاية، مسارا ونتاجا، فاعلية ومسئولية وتواصلا مثمرا في آن واحد.

- هذا الاسم هو الاسم الرمزي الذي سأحله محل اسمي شخصيا -
 - يحيى الرخاوى - حيث أن اسمي قد ورد بتواتر مخرج في المتن موصوفا بصفات لا تصفي، لعلها من قبيل الجماملة أو الجهل بشخصي، ولما كانت علاقتي بالكاتب أو بغيره لا تسمح له برؤية من هو أنا لدرجة أمانة، فإنني فضلت هذا الترميز رغم ما فيه من ادعاء تواضع غير حقيقي، والمهم في القضية ليس الاسم أو الشخص ولكنها الصورة التي لدى الكاتب، صورة طبيب وكاتب أتاح له فرصة النشر المشروط، ولعل في هذا الإحلال دون استئذان الكاتب ما يسمح للقارئ بتتبع مباشر لحتوى فكر المؤلف والمخبر دون الوقوف عند شخص بذاته، وقد لجأ إريك بيرن

صاحب مدرسة التحليل التفاعلاتي إلى مثل ذلك، ربما لنفس الأسباب، حين أسمى نفسه دكتور كيو Dr.Q في مؤلفاته، والاسم "عبد الحكيم نور الدين" هو اسم الطبيب النفسي الذي دارت في رحابه أحداث الجزء الثاني (مدرسة العراة) من ثلاثيتي "المشى على الصراط".

- **ملحوظة:** لم أجد في الحصول على المقدمة على وجه التحديد، فاستخرت الله ووضعت الإهداء بعد كلمة الكتاب مباشرة، فعذراً.

- لاحظ معاملته لنا بالمثل حين يقول: إن من حق القارئ المريض.. الخ ص4 من المتن.

- وإعادة المطابقة كما سيأتى.

- دراسة هذا العامل "مواصلة الاتجاه" يرجع الفضل فيه إلى استاذنا د. مصطفى سويف، وقد قام بدراسته عديد من تلاميذه مثل، د. صفوت فرج، وسوف نعود إليه فيما بعد في حديثنا عن مخاطر الاطناب على الابداع.

- أضل الناس في هذا الاتجاه مؤخرًا فيلم "وطار فوق عش الوقواق" رغم إيجابياته المحدودة

- وهنا إطناب آخر وترك للقضبان Derailment، أى انحراف عن الاتجاه، مما سفصل فيما بعد.

- الآه المكتومة (ديوان سر اللعبة ص67، 68 يحى الرخاوي) وعينة منها: " هل أطمع يوماً أن يسمع لى؟

هل يسمع لى ؟

" وبحثت عن الألف الممدودة وعن الهاء وصرخت بأعلى صمتى لم يسعى السادة وادت تلك الألف مهزومة تطعنى في قلبي، وتدحرجت الهاء العمياء ككرة الصلب داخل أعماقى".

وتفسيرها في دراسة في علم السيكوباثولوجى ص 416، 417 يحى الرخاوي

- استعمل كلمة مضطرب أحيانًا للخرج من استعمال كلمة مريض واعنى بها في مقامنا هذا على وجه التحديد مرض الفصام والهوس معاً مع التحذير بأن هذا لا يعنى إطلاقاً أن صديقنا مصاب بأى منهما